

أضواء البيان

. @ 112

وقد معنا معاني إطلاق الرحمة ، في القرآن في سورة فاطر ، في الكلام على قوله تعالى { مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا } . . .
وقوله تعالى في هذه الآية { زَحْنٌ قَسَمْنَا بِكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ مِّمَّنْ يُعَذِّبُ الْمُذْنبِينَ } يعني أنه تعالى لم يفوض إليهم أمر معاشهم وحطوطهم ، في الدنيا ، بل تولى هو جل وعلا قسمة ذلك بينهم ، فجعل هذا غنياً ، وهذا فقيراً ، وهذا رفيعاً ، وهذا ضيعاً ، وهذا خادماً ، وهذا مخدوعاً ، ونحو ذلك فإذا لم يفوض إليهم ، حطوطهم في الدنيا ، ولم يحكمهم فيها . . . بل كان تعالى هو المتصرف فيها بما شاء كيف شاء ، فكيف يفوض إليهم أمر إنزال الوحي حتى يتحكموا في من ينزل إليه الوحي ؟ .

فهذا مما لا يعقل ولا يظنه إلا غبي جاهل كالكفار المذكورين . . .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة { لَّيْسَ بِكَ خِزْيٌ عَلَيْهِمْ أَمْ يُؤْخَذُ بِمَا لَصِقَ الْبَشَارُ } التحقيق إن شاء الله أنه من التسخير . . .

ومعنى تسخير بعضهم لبعض ، خدمة بعضهم البعض ، وعمل بعضهم لبعض ، لأن نظام العالم في الدنيا ، يتوقف قيامه على ذلك ، فمن حكمته جل وعلا ، أن يجعل هذا فقيراً مع كونه قوياً قادراً على العمل ، ويجعل هذا ضعيفاً لا يقدر على العمل بنفسه ، ولكنه تعالى يهيئ له دراهم ، يؤجر بها ذلك الفقير القوي فينتفع القوي بدراهم الضعيف ، والضعيف بعمل القوي فتنتظم المعيشة ، لكل منهما وهكذا . . .

وهذه المسائل التي ذكرها الله جل وعلا ، في هذه السورة الكريمة جاءت كلها موضحة في آيات آخر من كتاب الله . . .

أما زعمهم أن محمداً صلى الله عليه وسلم أنقص شرفاً ، وقدرًا من أن ينزل عليه الوحي ، فقد ذكره الله عنهم في (ص) في قوله تعالى { أَمْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَّا عَلَى رَجُلٍ مِّنْ دُونِهِ } . . .

فقول كفار مكة { أَمْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَّا عَلَى رَجُلٍ مِّنْ دُونِهِ } معناه إنكارهم ، أن يخصه الله بإنزال الوحي من بينهم ، لزعمهم أن فيهم من هو أحق بالوحي منه ، لكثرة ماله ، وجاهه وشرفه فيهم .